

مقاربة نقدية للعقل الأداتي في الفكر الغربي من خلال كتابات المسيري

Criticism of the instrumental mind through the works of the thinker

Abdel Wahab El-Messiri

ط.د. ياسين لخضر بن ناصر^{1*}، أ.د. محمد مهدي لخضر بن ناصر²

¹ مخبر الدراسات الشرعية، جامعة أبو بكر بلقايد-تلمسان-(الجزائر)،

yacine.lakhdarbennaceur@univ-tlemcen.dz

² مخبر المرجعيات الفلسفية والفنية للتفكير البلاغي والنقدي في الجزائر، جامعة أبو بكر بلقايد-تلمسان-(الجزائر)،

Bahtilmi@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2022/01/26 تاريخ القبول: 2022/11/13 تاريخ النشر: 2022/12/31

ملخص:

يعتبر عبد الوهاب المسيري أحد المفكرين البارزين الذين اشتغلوا بالفكر الغربي، وبأنساقه المعرفية الاستمولوجية، وأبرزوا مواطن ضعفه وقصوره في كتاباتهم ومقالاتهم العلمية، معتمدا في ذلك على تجربته الذاتية الميدانية في الغرب، حيث رأى ما ينطوي عليه من مفاهيم هدامة، وإيديولوجيات خطيرة. كما أشار إلى أنّ أهمّ مقولات هذه الحضارة الغربية يتمثل في: العقلانية الأداتية التي تنطلق من نموذج واحد مادي، فضلا عن أنها تعتبر من أهم تشكيلات الفكر الفلسفي الغربي الحديث، كونها أداة من أدوات السيطرة والهيمنة على الواقع، والتحكم في الظواهر الطبيعية وفي قمع وكبح حريات الإنسان، ومن ثم تحويله إلى أداة أو وسيلة مسلوكة من نزعتها الروحية لتحقيق أغراضها النفعية البراغماتية.

كلمات مفتاحية: المسيري، العقل، الأداتية، المادي، الحضارة الغربية.

Abstract:

Abdel-Wahab El-Messiri is considered one of the thinkers who studied Western thought with a critical vision and explained its negative aspects through their writings. He pointed out that the most important statements of Western civilization are: instrumental rationality that stems

from a materialistic cognitive model, being a tool of control and domination over reality, and control over phenomena. natural and in the suppression and restraint of human freedoms, in order to achieve its pragmatic utilitarian purposes.

Keywords: Al-Massiri; the mind; the instrumental; the materialist; the Western civilization.

*ياسين لخضر بن ناصر

1. مقدمة:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

وبعد،،

لقد شغل موضوع العقل في الفكر الفلسفي حيزا واسعا منذ القدم إلى يومنا هذا، بدءًا من اليونان ووصولاً إلى الفلسفة المعاصرة، كونه قوة مؤثرة في تكوين وتوجيه رؤى الإنسان الفكرية والعملية.

وأضحى العقل اليوم في العصر الحديث أحد مرتكزات الأنثروبولوجيا الثقافية للفلسفة الغربية الحديثة، ومبدأً من مبادئها، والمصدر الأساسي للحقيقة والمعرفة، وهو مرتبط تماماً بالواقع المادي وحدوده.

وتعتبر العقلانية الأدوات التمظهر التطبيقي الواقعي للعقل المادي في الحضارة الغربية التي أنتجت مفاهيم وإيديولوجيات كمفاهيم الهيمنة، التسلط، والسيطرة، والتشويش، والاعتراش، نتج عنها قمع وكبح لحريات الإنسان، وسقوط مفاهيم القيمة والأخلاق، وأصبح الإنسان ماديا طبيعيا مسلوبا من نزعة الروحية.

وبعدّ عبد الوهاب المسيري أحد أبرز المفكرين الذين درسوا الحضارة الغربية، ووقفوا على تشكيلاتها وتحيزاتها، وبالتالي كانت له نظرة نقدية تجاهها، ونحن في هذا البحث سنعتمد على أهم كتابات وأبحاث

المسيري للوقوف على ماهية العقل الأداتي، وسماته التي يتميز بها، والنتائج التي نجمت عنه جزاء تطبيقه، وفي الأخير تبيان مكامن الضعف والقصور لهذا التوجه العقلاني، لهذا كان موضوعنا:

مقاربة نقدية للعقل الأداتي في الفكر الغربي من خلال كتابات المسيري

إشكالية البحث:

من خلال ما سبق تبلورت الإشكالية التي مفادها كالتالي: ما المقصود بالعقل الأداتي عند المسيري؟ وماهي أبرز سماته وتحيّزاته؟ وماهي أبرز الانتقادات الموجهة إليه من منظور المسيري؟.

خطة البحث:

بناء على ما سبق ارتأيت أن أجعل هذه الدراسة تنتظم في مبحثين، يتعلق الأول بتحديد بعض العناصر الممهدة للبحث والمتمثلة في التعريف بشخصية المفكر المصري عبد الوهاب المسيري، مع بيان واستجلاء مفهوم العقل الأداتي، ونشوءه تاريخيا، بينما تناولت في الثاني العقل الأداتي في كتابات المسيري من حيثيات ثلاث: سماته، العلاقة بينه وبين العقل المادي، أبرز الانتقادات الموجهة إليه، وفي الأخير استخلصت أهم النتائج المتعلقة بموضوع البحث.

2. العقل الأداتي عند المسيري

1.2 لمحة موجزة حول المسيري:

عبد الوهاب المسيري هو مفكر وعالم اجتماعي مصري، وهو مؤلف موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية التي تعدّ أحد أكبر الأعمال الموسوعية العربية في القرن العشرين، وفيما يلي سنذكر موجزا عن سيرته الذاتية والعلمية:¹

ولد المفكر عبد الوهاب المسيري سنة 1938 في دمنهور بمحافظة البحيرة، التحق عام 1955م بقسم اللغة الإنجليزية في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، وذلك بعد إنهاء تعليمه الابتدائي والثانوي، وفي عام 1964 حصل على درجة الماجستير في الأدب الإنجليزي المقارن من جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة، ثم على درجة الدكتوراه عام 1969 من جامعة رنجرز.

1- عبد الوهاب المسيري... رؤية فلسفية فريدة للعالم والإنسان، سامح عود، تن: 2020/07/05، موقع الجزيرة.

تقلد المسيري في حياته المهنية عدة مسؤوليات، من أبرزها: أستاذ زائر في أكاديمية ناصر العسكرية، وفي جامعة ماليزيا الإسلامية، وعضو مجلس الخبراء في مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، ومستشار ثقافي للوفد الدائم لجامعة الدول العربية لدى هيئة الأمم المتحدة في نيويورك، ومستشار أكاديمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن.

أغنى المسيري المكتبة العربية بعشرات المؤلفات، ولعل أبرزها "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد"، ومن كتبه البارزة أيضا "العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة"، و"الفردوس الأرضي"، و"الحداثة وما بعد الحداثة"، و"الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان".

توفي المسيري يوم 2 يوليو/تموز 2008، عن سبعين سنة بعد صراع طويل مع السرطان.

2.2 مفهوم العقل الأداتي:

يعد مفهوم العقل الأداتي من أهم المفاهيم التي يقوم عليها المشروع الحضاري الغربي الحديث، والتي لعبت دورا هاما في تطور المجتمع الغربي على الصعيد المادي، وفيما يلي سنحاول استجلاء مفهومه وحقيقته، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره.

1.2.2 تعريف العقل:

لغة: العقل هو الحجر والنهي، وهو نقيض الجهل¹، وجاء في المعجم الوسيط أن العقل هو إدراك الأشياء على حقيقتها، والغلام أدرك وميز، يقال: ما فعلت هذا مذ عقلت²، وسمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، أي: يحبسه، وقيل العقل هو التمييز الذي به يتميز الإنسان عن سائر الحيوان، وعقل الشيء يعقله عقلا فهمه ويقال أعقلت فلانا أي ألفتة عقلا وعقلته أي صيرته عاقلا وتعقل تكلف العقل كما يقال تحلم وتكيس وتعقل أظهر أنه عاقل فهم³.

اصطلاحا:

1- مقاييس اللغة، ابن فارس، 1423هـ/2002م، ج: 04، ص: 56.

2- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وآخرون، ج: 02، ص: 139.

3- لسان العرب، ابن منظور، ج: 11، ص: 458.

يقول الغزالي: العقل عند جماهير المسلمين يأتي على ثلاثة أوجه:¹

الأول: يراد به صحة الفطرة الأولى في الناس، فيقال لمن صحت فطرته الأولى: إنه عاقل، فيكون حده إنه قوة بها يوجد التمييز بين الأمور القبيحة والحسنة، الثاني: يراد به ما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية، فيكون حده إنه معاني مجتمعة في الذهن تكون مقدمات يستنبط بها المصالح والأغراض، الثالث: يرجع إلى وقار الإنسان وهيئته، ويكون حده إنه هيئة محمودة للإنسان في حركاته وسكناته وهيئاته وكلامه واختياره.

فأما الفلاسفة فقد كثر اضطرابهم في تحديد مفهوم العقل، وقد حده بعضهم بأنه: التصورات والتصديقات الحاصلة للنفس بالفطرة²، وهناك من عرفه بأنه: مجموع المبادئ القبلية المنظمة للمعرفة، كمبدأ عدم التناقض، ومبدأ السببية، ومبدأ الغائية، وتتميز هذه المبادئ بضرورتها وكيبتها واستقلالها عن التجربة³.

2.2.2 تعريف الأداة:

لغة: الأداة هي الآلة، وجمعها أدوات، نقله الجوهري، يقول الليث: ألف الأداة واو، لأن جمعها أدوات، ومنه أداة الحرب: وهي سلاحها⁴، ويقال: استأديت على فلان بمعنى استعديت، كأنك طلبت به أداة تمكنك من خصمك، وآديت فلانا أي أعنته⁵.

اصطلاحاً: جاء في المعجم الفلسفي لمراد وهبة مصطلح أداتية، وتسمى بالفرنسية (Instrumentalisme)، وهي ضرب من البرجماتية، اصطنعه جون ليري للدلالة على أن المعرفة

1- معيار العلم في فن المنطق، الغزالي، 1961م، ص286.

2- معيار العلم في فن المنطق، الغزالي، ص287.

3- المعجم الفلسفي، جميل صليبا، 1982م، ج:02، ص87.

4- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، 1426هـ/2005م، ص1258، ينظر أيضا: لسان العرب، ابن منظور، ج14، ص24.

5- مقاييس اللغة، ابن فارس، ج:01، ص90.

آلة¹، وفي معجم لالاند جاء فيه: أن الأدوات لون من ألوان الدرائعية: مذهب جون ديوي الذي يقول إن كل نظرية هي آلة، وأداة للعمل ولتطور الاختبار².

3.2.2 العقل الأداتي باعتباره مصطلحا قائما بذاته:

هو العقل الذي يلتزم على المستوى الشكلي بالإجراءات دون هدف أو غاية، ودون تساؤل عن مضمون هذه الغايات أهي إنسانية أم معادية للإنسان، وهو على المستوى الفعلي العقل الذي يحدد غاياته وأولوياته وحركاته، انطلاقا من نموذج عملي مادي، بهدف السيطرة على الطبيعة والإنسان وحوسلتهم³. والعقل الأداتي له عدة إطلاقات أخرى منها العقل التقني أو العقلانية التقنية، العقل الشكلي، العقل الذاتي، ويوصف بالتفكير ذي البعد الواحد⁴، يناقش هوركهايمر في كتابه "نهاية العقل" تلك الطريقة التي قُصر فيها العقل على وظيفته الأدائية في كثير من مجالات الحياة، ولخص سماته بأن قال: "هو تكييف الوسائل الأمثل مع الغايات، والتفكير بوصفه طاقة تحافظ على هذه العملية، فهو أداة براغماتية موجهة نحو النفعية"⁵.

من خلال ما سبق نجد أن العقل الأداتي له وجهة نظر مادية في رؤيته للعالم والحياة، ويهدف إلى السيطرة على الطبيعة والإنسان وحوسلتهم (أي تحويلهما إلى وسيلة)، لتحقيق أغراضه النفعية البراغمتية.

3.2 الأصول التاريخية لنشأة العقل الأداتي من منظور المسيري:

يعود ظهور العقل الأداتي إلى ما يلي⁶:

■ آليات التبادل المجردة في المجتمع الرأسمالي: فتبادل السلع يعني تساوي الأشياء المتبادلة،

فما يهم في السلعة ليس قيمتها الاستعمالية المتعينة وإنما ثمنها المجرد، والأيدولوجيا النابعة من هذا

1- المعجم الفلسفي، مراد وهبة، القاهرة: دار قباء الحديثة، ص36.

2- موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، 2001م، مج:01، ص681-682.

3- الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، 1428هـ-2007م، ص87.

4- النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، عبد الغفار مكاوي، ص21.

5- المرجع نفسه، ص55.

6- الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص87-89.

التبادل المجرد هي أيديولوجيا واحدة تمحي الفروق وتوحد الواقع مساوية بين الظواهر المختلفة، بحيث يصبح الواقع كله مادة لا سمات لها.

■ **الأساطير اليونانية القديمة:** تعود أصول العقل الأدائي حسب ما يرى هوركايمر وأدورنو إلى الأساطير اليونانية القديمة خاصة أسطورة أوديسيوس¹، باعتبار أن الإلياذة والأوديسا هما اللبنة الأسطورية الأساسية للوجدان الغربي، حيث تفسر هذه الأسطورة على النحو الآتي:

- علاقة الإنسان بالطبيعة في الأوديسة هي علاقة صراع وهيمنة وليست علاقة توازن، وأوديسيوس وبجارتته هم رمز الإنسان الذي يود الهيمنة على الطبيعة.

- يتم إنجاز هذا الهدف عن طريق إهدار إنسانية الإنسان وتلقائيته، فالبحارة، رمز الطبقة العاملة، يفقدون الصلة تماما مع الطبيعة، وأوديسيوس، رمز الطبقة الحاكمة، لا يستمع إلى الغناء إلا وهو مقيد إلى الصاري، أي إنه يحلم بالسعادة دون أن يعيشها ويحلم بالطبيعة دون أن يرتبط بها.

- لا ينتج عن هذا انفصال الإنسان عن الطبيعة وحسب وإنما ينتج عنه أيضا انفصال المثال عن الواقع وانفصال الجزء الإنساني عن الكل الطبيعي، وبذا أصبح الإنسان يعيش بعقله في مواجهة البيئة يحاول استغلالها وحسب دون أن يتفاعل معها، أي أن الإنسان الكلي الحي يموت ليحل محله إنسان اقتصادي إمبريالي ميت.

- تنتهي الأسطورة بانتحار الحوريات وموت الطبيعة، لأنها فقدت سحرها وقديسيته.

■ **المنطق الأرسطي:** يرى مفكرو مدرسة فرانكفورت أن جذور العقل الأدائي تعود كذلك إلى المنطق الأرسطي الذي يكشف عن الميل لإخضاع جميع الموضوعات، سواء كانت عقلية أم

1- جاء في الأوديسا أن أوديسيوس طلب من بجارته أن يضعوا الشمع في آذانهم حتى لا يسمعو غناء الحوريات، وهو غناء ينتهي بمن يسمعه إلى الاستسلام لمن ولإغوائهن، وتنتهي الأسطورة بانتحار الحوريات لأن أوديسيوس سمع غناءهن وعرف سرهن. ينظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيحي، ص88.

جسمية، اجتماعية إنسانية أم طبيعية مادية، لنفس القوانين العامة للتنظيم والحسابات والاستنتاج.

3. العقل المادي والأداتي عند المسيري، وتجلياته على مفهوم الإنسان

إن العقلانية الأداتية هي التي قادت الحضارة الغربية إلى ما وصلت إليه اليوم من تطور وتقدم في شتى مجالات والتخصصات، وسنحاول في هذا المبحث تسليط على الضوء على العقل الأداتي من جوانب شتى، مع بيان مواطن قصوره وأبرز الانتقادات التي وجهت إليه من خلال كتابات المسيري.

1.3 العلاقة بين العقل المادي والأداتي عند المسيري:

1.1.3 مفهوم العقل المادي:

هذه الرؤية تذهب إلى أن العقل جزء لا يتجزأ من الطبيعة/ المادة خاضع لقوانينها، فهو صفحة بيضاء تتراكم عليها المعطيات الحسية المادية لتصبح أفكار بسيطة، وتتجمع الأفكار البسيطة من تلقاء نفسها (ومن خلال قوانين الترابط) لتصبح أفكارا مركبة، وتستمر عملية التركيب إلى أن نصل إلى ما نتصور أنه الأفكار الكلية والثوابت والمطلقات، مع أنها في واقع الأمر مجرد أحاسيس مادية، فكأنه من منظور مادي لا يوجد في العقل شيء لا يوجد أصلا في الواقع المادي، ثمة مرجعية نهائية هنا هي حركة المادة وقوانين الطبيعة.¹

2.1.3 سمات العقل المادي:

وتتمثل فيما يلي:²

-العقل المادي ليس عقلا محايدا، لأنه عقل يدور في إطار مرجعية مادية صارمة، ويرى أن على الإنسان أن يدعن للطبيعة المادية ولقوانينها.

1- الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص80، ينظر أيضا: عبد الوهاب المسيري، فكر حركة الاستنارة وتناقضاته، ديسمبر 1998م، ص14.

2 - الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص83-86، ينظر أيضا: دراسات معرفية في الحداثة الغربية، عبد الوهاب المسيري، 1437هـ/2006م، ص353-356، أيضا: نقد الفلسفة المادية عند عبد الوهاب المسيري (مذكورة ماجستير)، محمد بن أحمد بن أيوب، 1435/1436هـ، ص94-95.

- العقل المادي يوجد داخل حيز التجربة المادية محكوم بحدودها، ولا يمكنه التعامل مع أي ظاهرة طبيعية كانت أم إنسانية إلا في هذا الإطار.

-العقل المادي محايد وقادر على رصد ما هو كائن وغير قادر على إصدار الأحكام وعلى التعرف على ما ينبغي أن يكون، ولذا فهو يتعرف على الحقائق المادية وحسب ولا يمكنه أن يتعرف على قيمتها، فالحقائق كم أما القيمة فكيف، والحقائق أشياء مادية توجد في الواقع المادي، أما الأخلاق فهي تنتمي إلى عالم يتجاوز حدود هذا الواقع، ولذا فهو يفشل تماما في التمييز بين ما هو أخلاقي وما هو غير أخلاقي، وبين ما هو إنساني وما هو غير إنساني، وبين ما هو قبيح وما هو جميل.

-العقل المادي معاد للتاريخ، فالتاريخ بنية إنسانية متجاوزة لعالم الطبيعة/ المادة تتسم بالتنوع والتركيب والإبهام، أما العقل المادي - كما أسلفنا فإنه يتعامل بكفاءة مع الأرقام والصيغ البسيطة الواضحة ويدور في إطار الطبيعة / المادة .

-العقل المادي غير قادر على إدراك الإبهام أو التركيب ولذا فهو يقوم بتبسيط الإنسان واختزاله في صيغ كمية رياضية بسيطة، أو دوافع مادية في نفس البساطة .

-العقل المادي غير قادر على إدراك القداسة والأسرار، ولا يعرف الحرمات أو المحرمات، ولذا فهو ينزع القداسة بكل صرامة عن كل الظواهر بما في ذلك ظاهرة الإنسان.

-العقل المادي عقل سطحي، فهو لا يمكنه أن يسأل أيا من الأسئلة الكلية والنهائية الكبرى (ما هو الإنسان؟ وما هو مصيره في الكون؟ كيف يواجه الموت؟) فهي أسئلة لا معنى لها من منظوره، و لا يمكن البرهنة على صدقها أو كذبها.

-العقل المادي سلمي، لأنه لا يمكنه إدراك الكليات أو القيمة أو الثوابت أو المطلقات أو المقدسات، فهو عقل تفكيكي علمي قادر على تفكيك الأشياء، ولكنه عاجز عن إعادة تركيبها، ومن ثم لا يوجد بالنسبة لهذا العقل خير أو شر أو عدل أو ظلم، ولا توجد أي ثنائيات من أي نوع.

لكل ما تقدم نجد العقل المادي ذو بعد واحد، يساوي بين كل الأشياء الطبيعية، يساوي بين الإنسان والحيوان، ولا يلتزم بأية معايير أخلاقية، لأنه يدور في إطار مرجعية مادية محكوم بحدودها.

3.1.3 العقل المادي والأداتي:

العقل الأداتي هو عقل يسير بالإنسان إلى وجهة مادية حيث أفول الأخلاق والروحانيات، ووجود عالم المادة المغموم وهيمنة الأداة، هو عقل مجرد يجرد الإنسان من كل ما يجعله يسمو على الطبيعة، ويعيد تشكيله وفق نموذج مادي، ومن ثم هو كالعقل المادي، فالأداتي وجه من وجوه المادة، فكلاهما يدوران في إطار المرجعية المادية، وكلاهما ينكر صفة التجاوز على الإنسان، وينكران عليه طاقاته الثرية الكامنة بداخله، ولذلك فهما عنصران ينزعان القداسة عن الإنسان، ويقومان بتعريته من جوهره، وينظران إليه كشيء لا يتجاوز حدود الأشياء فهما عاملان يساعدان على تشييء الإنسان.¹

فالعقل الأداتي إذن هو التماثل التطبيقي للعقل المادي، يترجم ذاته في واقع مشبع بمقولات مادية مثل الكم والأرقام والتمن والنجاعة والمردودية والفاعلية لغاية التحكم في الواقع الطبيعي والإنساني.²

2.3 سمات العقل الأداتي عند المسيحي وتجلياته على مفهوم الإنسان:

1.2.3 سمات العقل الأداتي عند المسيحي:

يتسم العقل الأداتي بما يلي:³

- بنظر العقل الأداتي إلى الواقع من منظور التماثل ولا يهتم بالخصوصية، ولذا فهو يبحث عن

السمات المتماثلة في الأشياء ويهمل السمات التي تميز ظاهرة ما عن أخرى.

- العقل الأداتي قادر على إدراك الأجزاء، ولذا فهو يفتت الواقع إلى أجزاء غير مترابطة، ويفككه

دون أن يستطيع إعادة تركيبه إلا من خلال نماذج اختزالية بسيطة.

1- إشكالية تشييء الإنسان في الحداثة الغربية من منظور عبد الوهاب المسيري (مذكرة ماجستير)، صباح قارة، 2012م، ص134.

2- مطارحات في العقل والتنوير- عبد الوهاب المسيري أنموذجا-، بشير ريوح، 2012م، ص127.

3- الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص90-91، ينظر أيضا: العلمانية والحداثة والعولمة (حوارات مع عبد

الوهاب المسيري)، سوزان حربي، 1413هـ/2013م، ج:02، ص24

- ينظر العقل الأداتي إلى الإنسان باعتباره مجرد جزء يشبه الأجزاء الطبيعية/المادية الأخرى، وهذا الجزء ليس له ما يميزه عن بقية العالم، ولذا فهو مستوعب في كليته في النظام الاجتماعي في تقسيم العمل السائد وفي الطبيعة/المادة.

- العقل الأداتي ينظر إلى الإنسان من منظور العلوم الطبيعية باعتباره شيئاً ثابتاً وكما واضحة ووضعاً قائماً لا يحوي أية إمكانيات.

- العقل الأداتي ينظر إلى الطبيعة والإنسان باعتبارهما مادة استعمالية يمكن توظيفهما وحوسلتهما لخدمة أي هدف.

- الهدف النهائي من الوجود هو الحفاظ على بقاء الذات وهيمنتها وتفوقها، ومن هنا جاء تسميته بالعقل الذاتي أيضاً.

- لتحقيق هذا الهدف يلجأ العقل الأداتي إلى فرض المقولات الكمية على الواقع وإخضاع جميع الوقائع والظواهر الطبيعية والإنسان للقوانين الشكلية والقواعد القياسية والنماذج الرياضية، حتى يمكن التحكم في الواقع ويصل هذا إلى ذروته في الفلسفة الوضعية.

من خلال ما تقدم نجد أن العقل الأداتي هو عقل شكلائي لا يميز بين الطبيعية والإنسان، لأنه يبحث فقط في الصفات الخارجية للأشياء، ويهمل باطنها، وبالتالي لا يمكنه أن يدرك جوهر وقيمة كل ظاهرة في هذا الوجود، وهدفه قاصر فقط الحفافي ظ على بقاء الذات وهيمنتها وتحكمها في مختلف الظواهر الطبيعية والإنسانية.

2.2.3 تجليات العقل الأداتي عند المسيري على مفهوم الإنسان:

أصبح الإنسان الغربي في ظل هيمنة العقلانية الشكلانية على نمطين اثنين:¹

أ. الإنسان الاقتصادي.

وهو إنسان آدم سميث الذي تحركه الدوافع الاقتصادية والرغبة في تحقيق الربح والثروة، وإنسان كارل ماركس المحكوم بعلاقات الإنتاج، وهو يعبر عن مبدأ المنفعة، بحيث لا يعرف الإنسان سوى مصلحة

1- دراسات معرفية في الحداثة الغربية، عبد الوهاب المسيري، ص24.

الاقتصادية، وهو إنسان منفصل تماما عن القيمة شأنه شأن الطبيعة، تحركه القوانين الاقتصادية، وتحكمه حتمياته (تماما مثل الإنسان الطبيعي الذي يخضع لقوانين الطبيعة وحتميات القانون الطبيعيين لا يملك تجاوزا لها)، إنسان لا ينتمي إلى حضارة بعينها وإنما ينتمي إلى عالم الاقتصاد العام، وهو لا يعرف الخصوصية ولا الكرامة ولا الأهداف السامية التي تتجاوز الحركة الاقتصادية، ويجيد فقط البيع والشراء.

ب. الإنسان الجسماني أو الجنسي.

وهو إنسان فرويد أو بافلوف الذي تحركه دوافعه الجنسية وغدده وجهازه العصبي، وهو يعبر عن مبدأ اللذة، ولا يعرف سوى متعته ولذته، وهو إنسان الاستهلاك والترف والتبذير، وهو إنسان أحادي البعد خاضع للغرائز الشهوانية، متجرد من القيمة، لا يتجاوز قوانين الحركة.

3.3 نقد العقل الأداتي عند المسيري:

يرى المسيري أن العقل الأداتي: ¹

- عاجز تماما عن إدراك العمليات الاجتماعية والسياسية والتاريخية في سياقها الشامل الذي يتخطى حدوده المباشرة، بل إنه يعجز تماما عن إدراك غائيات نهائية، أو كليات متجاوزة للمعطيات الجزئية الحسية والمعطيات المادية الآنية (ولذا، يمكن تسميته بالعقل الجزئي)، وهو ما يعني أنه يصبح عاجزا تماما عن تحقيق أي تجاوز معرفي أو أخلاقي.

- يسقط العقل الأداتي دائما في النسبية المعرفية والأخلاقية والجمالية، إذ تصبح كل الأمور من منظوره متساوية، ومن ثم تظهر حالة من المعيارية الكاملة، ومع هذا، يمكن القول بأن النموذج الكامن والمهيمن على الإنسان يصبح مع تساوي الأمور، هو: الطبيعة/ المادة- السلعة- الشيء في ذاته- علاقات التبادل المجردة.

- لكل هذا يصبح العقل الأداتي قادرا على شيء واحد: قبول الأمر الواقع والتكيف مع ما أمامه من وقائع قائمة وأحداث وجزئيات وظروف القهر والقمع والتنميط والتشويه والاعترا ب، وهو

1- الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص 91-92.

ما يعني تثبيت دعائم السلطة وعلاقات القوة والسيادة القائمة في مجتمع معين، وكبح أية نزعات إبداعية تلقائية تتجاوز ما هو مألوف.

-لكل هذا، فإن العقل برغم تحرره من الأساطير إلا أنه تحول هو نفسه إلى قوة عقلانية تحاول السيطرة على الطبيعة وعلى الإنسان وترشيد الحياة بشكل يؤدي إلى نفي الحرية تماماً، كما يتبدى في البنى الرشيدة الحديثة للتسلط، ولذا فهي في طريقها إلى شكل من أشكال البربرية، وما جرى في معسكرات الإبادة النازية إن هو إلا جزء عضوي من هذه المسيرة الشيطانية. من خلال ما تقدم نجد أن العقل الأداتي هو عقل وظيفي يسعى لخدمة الطبقة الحاكمة وتثبيت دعائمها، وتسويغ وتبرير خطباتها التعسفية، وهذا يؤدي تمام إلى قمع وكبح الحريات الإنسانية، فهو شكل من أشكال القمعية الظلامية المعاصرة، وما جرى في معسكرات النازية وغيرها هو خير دليل على ذلك.

4. خاتمة:

وفيها أهم النتائج المستخلصة من البحث، وهي كالآتي:

أولاً: يعد عبد الوهاب المسيري من أكبر المفكرين في القرن العشرين الذين كان لهم موقف نقدي من الحضارة الغربية في أبعادها المعرفية الاستمولوجية المختلفة.

ثانياً: العقل الأداتي عند المسيري هو العقل الذي يلتزم على المستوى الشكلي بالإجراءات دون هدف أو غاية، ودون تساؤل عن مضمون هذه الغايات فهي إنسانية أم معادية للإنسان، وهو على المستوى الفعلي العقل الذي يحدد غاياته وأولوياته وحركاته، انطلاقاً من نموذج عملي مادي، بهدف السيطرة على الطبيعة والإنسان وحوسلتها.

ثالثاً: العقل الأداتي هو التماثل التطبيقي للعقل المادي، يترجم ذاته في واقع مشبع بمقولات مادية مثل الكم والأرقام والتمن والنجاعة والمردودية والفاعلية لغاية التحكم في الواقع الطبيعي والإنساني.

رابعاً: العقل الأداتي هو شكل من أشكال السيطرة القمعية الحديثة على الطبيعة والإنسان، إذ أن الأمور كلها من منظوره متساوية، بحيث يتعامل مع الإنسان كما يتعامل مع الطبيعة، لأن غايته النهائية هي الحفاظ على بقاء الذات وهيمنتها، ولتحقيق هذه الغاية يلجأ العقل الأداتي إلى فرض المقولات الكمية

على الواقع، وإخضاع جميع الوقائع والظواهر الطبيعية والإنسان للقوانين الشكلية والقواعد القياسية والنماذج الرياضية، حتى يمكن التحكم في الواقع والسيطرة عليه.

خامساً: العقل الأداتي هو أحد تشكيلات الحضارة الغربية التي تسعى إلى تقويض حرية الإنسان، وكبح أي نزعات إبداعية تلقائية تتجاوز ما هو مألوف (أي الواقع المادي)، وبالتالي فهو شكل من أشكال الهيمنة والسيطرة، وهو ما يعني خدمة الطبقة الحاكمة وتثبيت دعائمها، وتسويق وتبرير خطاباتها التعسفية القهرية.

وفي نهاية هذا المطاف؛ أشكر الله عز وجل، وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

5. قائمة المراجع:

أ. الكتب.

- إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وآخرون، دت، المعجم الوسيط، ت: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، دط.
- ابن فارس، 1423هـ/2002م، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، دط.
- ابن منظور، دت، لسان العرب، دار صادر، ط1، بيروت.
- أندريه لالاند، 2001م، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، إشراف: أحمد عويدات، منشورات عويدات، ط2، بيروت، باريس.
- بشير ريوخ، 2012م، مطارحات في العقل والتنوير-عبد الوهاب المسيري أنموذجا-، دار الفارابي، ط1، لبنان.
- جميل صليبا، 1982م، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، دط، بيروت.
- سوزان حرفي، 1434هـ/2013م، العلمانية والحداثة والعولمة (حوارات مع عبد الوهاب المسيري)، ط1.

- عبد الغفار مكاوي، دت، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، مؤسسة هنداوي، دط.
 - عبد الوهاب المسيري، 1428هـ/2007م، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر المعاصر، ط2، بيروت.
 - عبد الوهاب المسيري، 1437هـ/2006م، دراسات معرفية في الحداثة الغربية، مكتبة الشروق الدولية، ط1.
 - عبد الوهاب المسيري، 1998م، فكر حركة الاستنارة وتناقضاته، دار نخضة مصر، ط1.
 - الغزالي، 1961م، معيار العلم في فن المنطق، ت: سليمان دنيا، مصر: دار المعارف، دط.
 - الفيروزآبادي، 1426هـ/2005م، القاموس المحيط، ت: مكتب تحقيق التراث، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، بيروت.
 - مراد وهبة، دت، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة.
- ب. الأطروحات.
- صباح قارة، 2012م، إشكالية تشيؤ الإنسان في الحداثة الغربية من منظور عبد الوهاب المسيري (مذكرة ماجستير)، جامعة فرحات عباس.
 - محمد بن أحمد بن أيوب، 1435/1436هـ، نقد الفلسفة المادية عند عبد الوهاب المسيري (مذكرة ماجستير)، جامعة الجزائر 1: يوسف بن خدة.
- ج. المواقع.
- سامح عود، 2020/07/05، عبد الوهاب المسيري.. رؤية فلسفية فريدة للعالم والإنسان، الموقع:
- <https://www.aljazeera.net/midan/intellect/philosophy/2020/7/5> / كيف
- نظر-المسيري-للعالم-والإنسان